ثم يأتي بعد ذلك الدور الرابع ، وهو دور الانتقال في شعر أبي نواس وأبي تمام وابن الرومي والبحتري وابن المعتز وقد امتاز هذا الدور بالمنازعات التي قامت فيه بين القديم والجديد ، وثورة أبي نواس على الجمود في الشعر على وصف الطلول ، والوقوف على الدمن ، وما إلى ذلك مما لا يتأثر به الشاعر في حاضره ، ولا يحيط به في بيئته ، وكان لذلك أثره فيما أخذ به هو وغيره من وصف مشاهد الحضارة العباسية ، في قصورها ومجالس لهوها ، وما إلى ذلك مما جد فيها ، ولكن الشعراء كانوا يترددون في ذلك بين القديم والجديد ، ولم يمكنهم أن يتخلصوا فيه كل التخلص من التأثر بالقدماء .

ويأتي بعد ذلك الدور الخامس ، وهو دور النهضة ، وقد انتهى القرن الثالث الهجري بغلبة الجديد ، فنهض شعر الطبيعة إلى أقصى ما وصل إليه في الأدب العربي ، وصار له في كل إقليم طابع يمتاز به ، وكان أرقى ما وصل إليه في بلاد الأندلس ، في شعر ابن خفاجة وغيره .

وقد آثرنا أن نلم بهذا التقسيم الذي يدل على مبلغ دقة المؤلف وتمكنه من موضوعه ، لندل به على طريقة دراسته في كتاب تبلغ صفحاته سبع عشرة وثلثمائة صفحة من القطع المتوسط ، فهي دراسة دقيقة جامعة لهذا الشعر في عهوده المختلفة ، وعرض حسن لنماذجه فيها ، وتحليل وشرح يدل على قوة إدراك ، وحسن فهم ، وموازنات بين الشعراء في هذا الباب تدل على مبلغ تفاوتهم فيه ، وتضع كل واحد منهم في درجته اللائقة به ، ونقد بصير بمواضع النقد ، وتوجيه حسن لمن يأخذ من الشعراء في هذا الباب .

ثم ماذا بعد هذا كله في ذلك الكتاب النفيس ؟ هناك دراسة أيضاً لشعر الطبيعة عند الغربيين ، وموازنات بينه وبين شعر الطبيعة في الأدب العربي ، وحسن توجيه أيضاً إلى ما وصل إليه شعراء الغربيين في هذا الباب ، لأنهم لم يقتصروا فيه على وصف مظاهر الطبيعة كما اقتصر شعراؤنا ، بل اتسع الأفق عندهم في نظرتهم إلى الطبيعة ، واتخاذها موضوعاً فكرياً عالياً ، ينتهي بهم إلى أفكار وتصورات سامية ، وفلسفات روحية تدل على كمال تفانيهم فيها ، ولذلك نماذج أيضاً تؤيده ، فجاء الكتاب بكل هذا جامعاً في بابه ، لا يستغني عنه أديب في مكتبته .

عبد المتعال الصعيدي

ديوان الشوق العائد

[للأستاذ علي محمود طه]

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

في كتاب العمدة لابن رشيق : « قال بعض الحذاق : إنه ليس للجودة في الشعر صفة ، إنما هو يقع في النفس عند المعنى : كالفرند في السيف ، والملاحة في الوجه » .

هذا قول كله صدق وكله حق ، فنحن مهما اجتهدنا في تعريف غيرنا بنواحي الجودة في الشعر الجيد فلن نستطيع أن نأتي بصورة صادقة تامة لما نحسه في نفوسنا من جودة ذلك الشعر .

وهـــذه حالي مع شعر الشاعر علي محمود طه ، فإنني لأقرأه فإذا هو يوافق نفسي ، وإذا هو يقع منها موقعاً قلما يكون لغيره من شعر العصر . ولست أدري مبعث ذلك على وجه التحقيق ، أهي روعة الشعر أم تجاوب الذوق أم كلاهما معاً . وها هو ديوانه الأخير « الشوق العائد » بين عينيّ ، فيا لها من عوالم حافلة بالتهاويل زاخرة بالصور الحية تتدعها لطافة شعور الشاعر ، وصفاء فكره ، ورقيع ذوقه وبراعة فنه ؛ ولله هذه الصفحات الرائعات من حياة ذلك القلب الذي لا يقرأه قارئ فهو لا يكاد ينسى أمسه بآماله وآلامه حتى يعوده عيد من الشوق جديد : الله لقلوب الشعراء ! وهل كانت يوماً إلا هكذا ؟ وهل تملك إلا أن تلتفت إلى أمسها رضينا أم لم نرض ؟ . ولقد ترقرقت في عينيّ دمعة حين قرأت قوله :

فقالت : ما حياتك ؟ قلت حلم ... من الأشواق أوثر أن أطيله

ما أروعها حياة ! ولكن يا رحمة للنفس الشاعرة إذا هي لم تجد لطيوف أحلامها الأفقَ الرحيب لتنطلق فيه خفيفة الاجنحة ، فما تكاد تلك الطيوف تصفق بأجنحتها وقد همت بالتحليق حتى تصدمها قيود وسدود تعترض الأفق من هنا وهنا فإذا الأجنحة تتكسر ؛ وإذا الطيوف تختنق من الضيق فتهاوى صريعة مهيضة ، وتستيقظ النفس الشاعرة الحالمة لتواجه الحقيقة ، الحقيقة التي ترى فتصيب ، وتصيب فتقتل . وما هي حياة الشعراء إذا حيل بينهم وبين أحلامهم وأطيافهم ؟ .

ونظرة في قصيدة « يوم الملتقى » وهي من غرره الاجتماعية تعيد إلى أذهاننا ما تنبأ به المرحوم « الزهاوي »

لشاعرنا من أنه سيحمل بعد شوق لواء الشعر العربي . حقاً ما كان أزكن الزهاوي رحمه الله ؛ أولا فما هذا الشعر الرصين ، وما هذه الديباجة المشرقة ، وما هذه العصا السحرية التي تمس القلوب إذا خاطب الشرق في اجتماع زعمائه لتأليف الجامعة العربية :

فَقَدْ شراعك لا تسلم أزمته ... لغير كفك ، إن الريح هوجاء
ياشرق مجدك إن لم ترس صخرته ... يداك أنت فقد أخلته أهواء
ياشرق حقك إن لم تحم حوزته ... صدور قومك لم تنفذه آراء
والكون ملحمة كبرى جوانبها ... دم ونار وإعصار وظلماء

بلى ، ولئن لم ينزل الشرق هذه الملحمة ، ملحمة الكون الكبرى مزوداً بعدته ليهلكن .

وما لتلك الريشة التي تضرب على أشد أوتارنا حساسية حين تستصرخ العصبة بشأن فلسطين فتهزنا هزاً :

أحلها ذهب الثارى وحرمها ... عصر به حرز القوم الأذلاء
حرمان أخفتاها أدمعاً ودماً ... تنزو بها مهجة كلمى وأحشاء
تطلعت لكم ولهى ، أليس لها ... على يديكم من العلات إبراء

الله فيك يا فلسطين الشهيدة .

ولست هنا بسبيل أن آتي على كل قصيدة في ديوان الشوق العائد ، وليس ما ذكرت هو خير ما في الديوان ، كلا ، فإن قصائد الشاعر تمتاز كلها بالجمال روحاً وجسماً ، فالمعنى الرائع في اللفظ المنتخب . وإن الملاح التائه ليصور لنا بحرارة وصدق ما تهتز له خوالجه ، وإن شعره لينبض حياة بما فيه من العناصر الإنسانية التي تشيع في كل ما ينتجه لنا من روائع ، ومن هنا يتنافل شعره في نفوسنا ومن هنا يخبأ شعره في قلوبنا .

تحيتي إليك يا أيها الشاعر الخالد وإعجابي الذي لا ينتهي .

(نابلس) فروى عبد الفتاح طوقان

أصـــــداء بعيدة

[للأستاذ العوضي الوكيل]

للأستاذ مروت أباظة

صدر في الأيام القريبة الماضية ديوان « أصداء بعيدة » للشاعر العوضي الوكيل ، وصاحب الديوان غني عن التعريف وليس غريباً عن قراء الرسالة ، وديوانه هذا الأخير يقرى بالقراءة فقد قرأته عدة مرات ، كنت أفتح الديوان عفواً فما أزال أقرأ واقرأ حتى أجدني قد انتهيت من الديوان ، ولعل هذه القراءة الكثيرة جعلتني ألحظ على الديوان شيئاً كنت أتمنى ألا ألحظه . فالشاعر العوضي شاعر له قصائد كثيرة تعطيك الفكرة الصحيحة الصادقة عن فن الشاعر الصادق . وبجانب هذه القصائد نجد مقطوعات لا تقل كثرة عن تلك ، كان بودي أن تنسب لغير الشاعر الذي عرفناه . فأنت حين تقرأ قصائد الديوان كأنك تقرأ لشعراء كثيرين متباينين قوة وضعفاً . فقصيدة الربيع مثلا التي يستهلها الشاعر بقوله .

عدت ياصـــاحب الربيع وعدنا ... فامض في الكون كيف شئت وانا

وكذلك قصيدتا الريف الغائية والرائية من أحسن ما يمكن أن يكتب عن الربيع وعن الريف ، ولكن تعال معي مثلا إلى قصيدة الهجرة ... ...

رحلة اليقين والإيمان ، ونجاة الهوى من الطغيان
فتح الفقر روحه للصديقين ... فأمسى باديه كالبستان
أيما ذرة من الرمل غنت ... ولكادت تهم بالطيران
حدثت أختها وفيها دبيب ... وهي تشوى بمقدم النيران

بون شاسع بين هذا الشعر وما قدمت من نماذجه الجياد ، ومن طراز هذا الشعر الأخير قصيدته في صلاح الدين ومقطوعته التي بعنوان « قلمي » ونشيده العسكري وغير ذلك مما لا أرضاه للشاعر . أنا لا أنكر أن كل شاعر يسف ويحلق ولكن ليس بهذه الكثرة في الإسفاف . ولعل هذا راجع إلى أن الأستاذ العوضي سريع في نظمه كل السرعة ، وسرعته هذه لا تعطيه الفرصة الكافية لكي يعرض القصيدة على ذوقه الأدبي مجرداً من كل عاطفة ، فهو ينظم القصيدة ثم ينظر إليها نظرة المعجب المزهو لا المتقد المنقد ، والوضع الصحيح أن ينقد هو ليعجب به غيره . لعله يستمع لهذا الكلام في هدوء وطمأنينة فيحاول أن يتدارك هذا المأخذ ... إذاً لأصبح العوضي في مكانه اللائق به .

مروت أباظة

١ — زوبعة الدهور : تأليف مارون عبود

فصول عن (دار الكشوف) بقلم خفيف سريع الحكم يعتصر حكمه على المعرى من عاطفته ويستدل بشعر المعرى بتنزعه من قصائده ويعهد لخواطره عن الشاعر .

يدور الكتاب حول حياة المعرى أو المضلة العلائية ويعضى الكاتب يصف عصر المعرى بعصر الأسرار ويفيض عن مدرسة أبي العلاء وصلته بالحاكم ويستطيل به القلم حتى يصل به القول إلى أن العصر ظفر منه بشاعر العقل الفاطمي .

وعند الكاتب أن المعرى لم يضرب عن الزواج لأنه لا يريد الجناية على أحد ولكنه أضرب لأنه يؤثر الصفة ويحدد النسل عند الإضطرار ولا يسمح بتعدد الزوجات ويثور للمرض للمصور ثورته للدم المهدور

وقد أسرف الأستاذ المؤلف وزاد وأطال كي يثبت أن للمعرى شيخ الفاطمية الأعظم . وإليك ما انتهى إليه (في مذهب أبي العلاء) (من طالع سيرة المعز والعزيز والحاكم الفاطميين رأى أبا العلاء لا يخرج في حدود تعاليمه عن مجموع آراء هؤلاء الثلاثة ، ومن أسعده الحظ وقرأ رسالة الناء الكبيرة في كتب الدروز يرى أن النبع واحد كل يريد أن يقصي المرأة ويبحبها خوفاً من الفتنة)

والمؤلف جريء كثير التحامل والشطط ، من ذلك حكمه بأن أدب العميان جميعاً فيه رائحة عفنة لا تعجبه . وهو قد يكون على شيء ، ولكن في أدب العميان مثل بشار سحر لا يشاب بعضه ولكنه يمزج بالسخر والصدق والصرامة ؛ وفي نظرات المعرى نفسه صدق ومضاء غاب عن المؤلف ؛ والمرارة شيء والتعفن شيء آخر .

والكتاب جميعه نسق من الخواطر الأدبية في ثوب باحث وأسلوب يشوق القارىء بحديثه لولا الإطالة والإطناب حول المعرى والدعوة الفاطمية التي استولت على المؤلف وأضاعت عليه وقتاً كان في حاجة إليه في جوانب أخرى عن المعرى ...

٢ — مرايا الناس : تأليف السيدة وداد سكاكيني

رأيي في الأدب النسوي لا يسر المرأة ولا يروق ربات البنان المخضب ، ولكني أعترف كما يعترف غيري أننا قرأنا من نتاج الأديبات في مصر ما طربنا به شيئاً ، وإن كنت أجد فيه إلى جوار أنامل المرأة أصابع الرجل تنقيه مرة وتشجعه مرة أخرى وقد تقومه أو توجهه . والذي يؤلم أن أدب الأنوثة كنار الهشيم تعلو سريعاً ثم تهبط وإلا فأين (صوت سهير القلماوي) وأين نفحات الأنوثة في (قلم ابنة الشاطئ) وأين طرائف المبدعات من (وداد صادق عنبر) وبيانها المنزل من موروث والدها . أين ؟ وأين ؟ أظن (البيت) هو الذي طغى على رسالة القلم عند هؤلياتكن . ولا حرج فالطبيعة تقضي .

غير أني اليوم أطالع مرايا الناس للسيدة وداد سكاكيني الكاتبة الشرقية فأعجب كيف أن الطبيعة لم تغلبها ، وحرفة الأمومة لم تنهنه من حماسها الأدبي، ولم تبلبل تيارها العارم ؛ أعجب ولا يدفعني هذا إلى أن أقول كما قال الناقد القديم . (تلك التي غلبت الفحول) لا أقول ذلك وإنما أدعو القارئ إلى أن يرد مرايا ويقف على شخصيتها ويتملى من أسلوبها ليعجب بقصصها الإنساني الذي اتخذ من صلاته بالمرأة درساً وتحليلاً ثم جاء تعبيراً سامياً في إطار يشوق وإخراج يروق . وحتى لا أحرم القارئ أو يرميني بمجاملة الضيفة الصديقة أضع أمامه قطعة من (شقيقة نفسي) تكشف عن جمال في التعبير وإبداع في التصوير ورفعة في الأسلوب الذي تحسد عليه المرأة وتغبط السيدة وداد .

(في صيداء مدينة الزهر والعطر ، الحالمة بمجدها على الشاطئ الأبيض الجاثم بوداعة وفطنة ليداعب بمده وجزره تلك الرمال النقية ، فإذا وليت وجهك شطر البيوت تركت البحر يواجه بأمواجه القلعة العتيقة السادرة في ذكرياتها ، ثم أقبلت بالنظر على جنات ألفاف ، وأفواف خلف أفواف ، وحدائق وراء بساتين رقاقة النسيم سمراء الأديم قد شاعت فيها أنفاس الفردوس ، وليكن هذا في الربيع حين يعبق في هواء صيداء عطور النارنج والليمون) .

وأخشى أن أطيل وأمضي بك في كثير من القطع الفنية التي صاغتها ريشة تغنى بعواطف المرأة وتجارب الأنثى وتأملاتها في الحياة والمجتمع وصلات الناس .

نعم قد تمر على بعض القصص فلا تفجأ بالحادثة ، وقد تمر بك الخطرات والنظرات وأنت تقرأ كأنها النسيم يمضي رخاء دون أن يلفحك أو يعصر قلبك لأن السيدة وداد رفيقة الأنفاس هادئة اليراعة تنظر بمرآة صافية لم تلعب بها الأعاصير ولم تمايل بها الرياح . إنما هي امرأة فنانة متمكنة من قياد القلم تحمل قلباً إنسانياً ونظرة نشف وتنم عن الرحمة واليقظة وهكذا جاءت مرايا من القصص المحلل المتأمل الذي يشهد للمرأة ويحملنا على الاعتراف بأدبها .

وقصص (هاجر العانس) و (الضرتان) و (حظها المكتوب) و (العروس) لون من نتاج المرأة الذي يضع الكاتبة في مصاف القصاصين المبدعين .

ويكفي الأديبة أن تقبل إعجابنا بنتاجها الموفق وإلى آثار أدبي آخر يردنا إلى الإعجاب بفن الأنوثة الشرقية .

كامل محمد محمد